CIRS

CENTER FOR INTERNATIONAL AND REGIONAL STUDIES

GEORGETOWN UNIVERSITY
SCHOOL OF FOREIGN SERVICE IN QATAR

# أميركا، الشرق الأوسط، والخليج

## نظرة عربية إلى التحديات التي تواجه الإدارة الأميركية الجديدة

رامي خوري

# أميركا، الشرق الأوسط، والخليج

## نظرة عربية إلى التحديات التي تواجه الإدارة الأميركية الجديدة

رامي خوري

## نبذة عن كلية الشئون الدولية بجامعة جورجتاون قطر

تحذو كلية الشئون الدولية حذو جامعة جورجتاون للحفاظ على تقاليد الجامعة في تنشئة جيل من قادة المستقبل في مختلف المحافل الدولية من خلال مناهج الفنون الليبرالية التي ترتكز على دراسة الشئون الدولية والخارجية. وتعد جامعة جورجتاون واحدة من أعرق وأكبر الجامعات في أمريكا. تأسست في العام ١٧٨٩ من قبل رئيس الأساقفة جون كارول، والجامعة ذات توجه عالمي اهتمامها الرئيسي هو الطالب وتنمية مجالات البحث العلمي والأكاديمي. تقدم الجامعة لطلابها من مختلف أنحاء العالم برامج جامعية للبكالوريوس وللدراسات العليا في كل من واشنطن العاصمة، الدوحة قطر وجميع أنحاء العالم. للمزيد من المعلومات حول الجامعة يرجى زيارة الموقع http://qatar.sfs.georgetown.edu

## نبذة عن مركز الدراسات الدولية والإقليمية

يعد مركز الدراسات الدولية والإقليمية بكلية الشئون الدولية بجامعة جورجتاون في قطر، الذي تم إنشاؤه عام ٢٠٠٥، من أوائل المعاهد البحثية المتخصصة في الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالقضايا الإقليمية والدولية، وذلك من خلال الحوار وتبادل الأفكار، والبحث و بناء المعرفة، والعمل مع الدارسين وصناع الرأي والمهنيين والناشطين على الصعيدين الوطني والدولي.

## عن المحاضر

رامي خوري هو المحرر التنفيذي السابق لصحيفة Daily Star ومدير معهد عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية ببيروت. هو مؤلف كتب، ويكتب تعليقاً أسبوعياً Agence Global.

في ٢٤ آب/ أغسطس دعي رامي خوري إلى الدوحة من قبل مركز الدراسات الإقليمية والدولية لتقديم هذه المحاضرة. وهذه نسخة من المحاضرة محررة ومترجمة إلى العربية.

# أميركا، الشرق الأوسط، والخليج

## نظرة عربية إلى التحديات التي تواجه الإدارة الأميركية الجديدة

رامي خوري

التحديات التي ستواجه الإدارة الأميركية الجديده كثيرة متعددة، لكنني أرغب في أن أركز على عدد من القضايا الأساسية التي لا تقتصر على تحدي الإدارة الأميركية وحسب بل تشكل تحدياً لشعوب الشرق الأوسط أيضاً، ولا سيما منها شعوب العالم العربي. هذه لحظة حافلة باحتمالات هائلة للتغيير في العلاقات الإقليمية بين شعوب الشرق الأوسط نفسها، وفي العلاقات بين المنطقة والعالم الغربي بعامة والولايات المتحدة بشكل خاص. وتحدثُ هذه التغييرات لاجتماع عدد من الأمور. فنحن نعيش لحظة تغيير تاريخية معادلة للحظةِ ما بعد الحرب العالمية الأولى، أو ما بعد حرب ١٩٦٧، أو ١٩٤٨. كانت تلك لحظات تاريخيَة بالغة الأهمية شملت تحولاتها كل منطقة الشرق الأوسط.

ولسوء الحظ فإن كل هذه التحولات مضت في اتجاهات إشكالية صعبة. لكن لربما أننا الآن على تخوم لحظة أخرى من هذا القبيل وإن كنا نستشف منعطفات ديناميكية حادة على المديين القريب والبعيد. أما ما هو قصير المدى فيدور حول رجحانِ أن تبدأ الولايات المتحدة بالانسحاب من العراق وما قد يستتبع ذلك من هزات فيه، واحتمالِ حلّ قضية إيران النووية، وتحركٍ على مسار الصراع العربي الإسرائيلي. فقبيل فترة وجيزة شهدنا السوريين والإسرائيليين يجرون مفاوضات غير مباشرة، كما شهدنا إسرائيل توقع وقفاً لإطلاق النار مع حزب الله وحماس، أو توافق على وقف إطلاق النار، ورأينا حضوراً مميزاً رفيعاً للأمم المتحدة في المنطقة. ثم إن هناك انعطافات شاملة في عالم الطاقة لعلها ستعزز من دور روسيا في الشرق الأوسط (وتزايد انخراط الصين عامل آخر). وهناك حاجة واضحة جلية لشكل أفضل من التعامل مع مشكلة الإرهاب التي لم يحسن أهل المنطقة أو القوى الغربية بل ولا العالم بأسره التعامل معها جيداً. هذه بعض القضايا الأساسية التي تذهلني، والتي ستفتح الباب للتغيير الكبير القادم. ومن المهم الاعتراف هنا بأننا في خضم فترة تغيير خطيرة في العالم العربي بخاصة، وفي تركيا وإيران بشكل عام.

إننا نشهد الآن على حدوث التغيير، لكن نقطة التحول الحقيقية التي لابد من تمييزها حصلت في عام ١٩٩٠ مع نهاية الحرب الباردة. لم تكن نقطة التحول مع حادثة الحادي عشر من أيلول/سبتمبر كما يظن العديدون في الولايات المتحدة أو الغرب بل كانت في الحقيقة عام ١٩٩٠. فمع انتهاء الحرب الباردة زالت كل العوائق التي جعلت المنطقة لمدة نصف قرن جامدة في

الاصطلاحات الإيديولوجية. فعدا عن الثورة الإيرانية لم يكن هناك تغير أيديولوجي في الشرق الأوسط، ذلك أن الحرب الباردة والصراع العربي الإسرائيلي أبقيا المنطقة في حال من الركود.

عند انتهاء الحرب الباردة، كانت هناك تيارات سياسية إحيائية، وكانت هناك هويات وحركات وقوى، إضافة إلى دينامية جديدة عمّت المنطقة. وقد ظهر لاعبون جدد في المشهد، كما ظهرت علاقات جديدة سواء في داخل البلدان أو فيما بينها، أو بين المنطقة والبلدان الأجنبية.

فإذا كنا نريد أن نتناول التحديات الجديده والفرص السانحة بطريقة منطقية وعقلانية، وإذا كنا نريد أن نجعل الشرق الأوسط أكثر استقراراً ورشداً ومنطقة مزدهرة تتعامل مع بقية العالم تعاملاً مسالماً ذكياً فإن من المهم أن نتعرف ونفهم ما يجري على الأرض. لهذا فإنني سأقدم لكم نظرة واحدة: نظرة إنسان عربي واحد إلى ماهية هذه الأحداث وإلى ما قد تخبرنا عن التحديات والفرص التي تواجه شعوب هذه المنطقة والإدارة الأميركية المقبلة.

لقد واجهتنا في السنوات الأخيرة لحظات تغيير ضيّعناها كلها بسبب العجز وعدم الكفاءة السياسية في العالم العربي وإسرائيل والولايات المتحدة وأوروبا وإيران. كان هناك قدر كبير من العجز وعدم الكفاءة السياسية وراء ضياع الفرص السانحة: أقصد فرصاً مثل مؤتمر مدريد للسلام عام ١٩٩١، واتفاقات أوسلو بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ومفاوضات السلام في كامب دافيد، والمفاوضات السورية الإسرائيلية الأميركية عام ٢٠٠٠، والرد الذي حصل بعد هجوم الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، ومبادرة السلام العربية عام ٢٠٠٢. كانت هذه فرصاً هائلة يمكن البناء عليها لو كان في المنطقة وفي إسرائيل والعالم الغربي قيادات أفضل. لم تكن هناك قيادة جيدة بين اللاعبين الأساسيين، ولهذا ضاعت كل هذه الفرص ودوّمت المنطقة في حلقة من الاضطرابات والعنف والتعصب والاحتلالات والمقاومات والتهديدات والحصارات المتزايدة وأنواع أخرى من الضغوط والتوترات زادت من صعوبة التعامل مع المنطقة. لكن ما حصل في الثماني عشرة سنة الأخيرة كان تاريخياً حقيقياً كشف عن حقيقة أوضاع المنطقة.

## الأزمات الخمس التي ترسم صورة العالم العربي

لماذا تحصل كل هذه الأمور؟ وما سبب كثرة العنف والاضطرابات والتوترات وجيوش الاحتلال الأجنبية؟ لماذا هنا وليس في الأرجنتين أو الهند مثلاً؟ نعم إن في هذين البلدين توترات، ولكن ليس فيهما هذا المستوى غير المعقول من التأزم السياسي والعنف والعسكرة والمواجهة داخل المنطقة أو مع قوى أجنبية. وللإجابة عن ذلك علينا أن نعرف أنه في خلال السنوات الثلاثين أو الأربعين الأخيرة، بل منذ ١٩٦٧، كانت هناك خمس أزمات أساسية رسمت معالم العالم العربي. لم ترسم معالمَ كل البلدان العربية لأن العالم العربي ليس كُلاً متجانساً، فمنطقة الخليج تتميز إجمالاً عن بقية العالم العربي بطبيعة التأزم والتوترات التي أصفها. ففي داخل الخليج جيوب



متعددة من توتر وأعمال إرهابية، سياسية، أيديولوجية، وفيه تطرف وفساد. وهي أمور تحدث في كل مكان من المنطقة، لكن الخليج مختلف لأن وضع الدولة، وحجم الثروة، وطبيعة السكان، ومرحلة التطور التي بلغتها هذه الدول مختلفة تماماً عن سورية والمغرب ومصر والأردن ولبنان. لهذا فإن ما أشير إليه ينطبق غالباً على المناطق خارج الخليج، وإن كان يؤثر فيها إلى حد ما.

أول هذه الأزمات الخمس هي الأزمة الحديثة الخاصة بوضع الدولة وشكلها وأمنها في معظم العالم العربي. فلكل البلدان العربية تقريباً مشكلات حدودية، وفي معظمها حركات تمرد وعصيان مسلح. ثم إن في بعضها حروباً أهلية، بينما نشهد عدداً منها وقد تمزق تماماً وتلاشت حكوماته المركزية.

والثانية هي أزمة العلاقات بين المواطن والدولة، إذ ليس من الواضح في معظم الدول العربية ما هي حقوق المواطنين وواجباتهم. ليس من الواضح أين تنتهي سلطة الدولة وأين تفرض حقوقُ المواطن نفسها. فالعلاقات بين الجماعات الفردية وبين الدولة غير منصوص عليها تماماً سواء في النظام التشريعي أو في العلاقات السياسية التي تحدد هذه المجتمعات.

والأزمة الثالثة التي ظهرت معالمها بوضوح في منتصف الثمانينات بعد أن تلاشت آثار الطفرة النفطية الأولى هي أزمة في الحاجات الإنسانية الأساسية وفي نمو الاقتصاد الاجتماعي القابل للاستمرار والبقاء. فمع تزايد النمو السكاني بسرعة أكبر من النمو الاقتصادي شهدت عدة بلدان عربية فترات من التأزم شملت ركوداً في عدد من البلدان المنتجة للنفط. لم تكن الدولة الحديثة بقادرة على الاستمرار في تقديم مستوى معيشي أفضل وخدمات اجتماعية متطورة وفوائد خيرية. فمنذ الثلاثينات أو الأربعينات ومعظم العالم العربي يتطور بمعدل ثابت نسبياً. كانت مستويات الحياة تتحسن، وكانت هناك مستشفيات ومدارس وطرقات وهواتف أكثر. لمدة نصف قرن تقريباً، كانت الحياة تتحسن على المستوى المادي لكثير من الناس في العالم العربي. وقد استمر ذلك حتى منتصف الثمانينات حيث بدأت هذه العملية تتراجع بسبب تراجع النمو الاقتصادي وانخفاض أسعار النفط فيما كان معدل النمو السكاني ماضياً في الارتفاع.

الأزمة الرابعة هي أزمة هوية على المستوى الشخصي والفردي والجماعي والقومي. وأقصد بالأزمة أن عدداً كبيراً من الناس في العالم العربي لم يشعروا بأنهم يستطيعون التعبير عن هويتهم تعبيرا حراً كاملاً وعلنياً في بلدان مثل مصر والأردن وسورية والمغرب، وفي بلدان في الخليج مثل الكويت والبحرين. كان هناك توتر سياسي وتأزم لم يسمحا بالتعبير عن الهوية، سواء كانت تلك الهوية سياسية، أو أيديولوجية، أو قبلية، أو دينية. كذلك شمل التوتر أولئك الذين شعروا بأنه لا يسمح لهم بالتعبير عن هويتهم الوطنية. وقد تم قَمع هويات بعض الجماعات. وهذا ما خلق توترات تراكمت إلى أن راح أصحابها في النهاية يعبرون عن هوياتهم بطرق مختلفة.

العالم العربي هو المنطقة الوحيدة التي لم تدمقرط على مستوى كبير، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

والأزمة الخامسة هي أزمة علاقة مع العالم غير العربي. فما زلنا لا نعرف ما إذا كانت الغالبية في العالم العربي تريد السلام مع إسرائيل أو تريد الحرب. إننا بكل أمانة لا نملك فكرة واضحة عن ذلك، وهذا أمر مذهل فعلاً. هناك دلائل متباينة تقدمها لنا استطلاعات الرأي والصحف ووسائل الإعلام، لكن ليست لدينا فكرة واضحة عن وضع العلاقات مع الدول غير العربية. إننا لا نعرف عدد العرب الذين يتخوفون من إيران أو الذين يعجبون بما تفعله إيران. فهناك شيء من التشويش أو عدم الدقة، على الأقل، حول أهم العلاقات الاستراتيجية مع اللاعبين غير العرب. وهذه أزمة ذات أبعاد حادة تراكمت في معظم الدول العربية.

في ١٩٩٠، كان عدد كبير من شباب العالم العربي يواجهون هذه القضايا غير المحلولة كما واجهها أجدادهم في عشرينات القرن الماضي. أربعة أجيال مضت بين الحرب العالمية الأولى وانتهاء الحرب الباردة، ومازال من غير الواضح ما إذا كانت القوة المحركة في العالم العربي هي العلمانية أو التدين. ما بين ١٩١٠ و١٩٩٠ ظلت هناك علاقات متأزمة بدون حلول جادة كالعلاقات بين المواطنين والدولة، وبين العروبة والصهيونية، وبين العالم العربي والعالم الغربي، وبين الدولة المركزية والمناطق الريفية. كذلك كانت هناك قضايا لم تعالج ولم تجد حلاً مثل معرفة الحدود التي تقف عندها سلطة الدولة والوطنية، والعناية بالعناصر الجوهرية والأساسية للهوية الشخصية، وشكل الدولة، والديناميكية الدولية. لهذه الأسباب فإن الضغوط على التعبير الفردي، والفعالية السياسية، والنشاط الأيديولوجي سرعان ما تفجرت عندما أزيلت محابسها عام ١٩٩٠. وقد استتبع ذلك فترة شديدة الاضطراب ما زلنا نعيشها وما زالت المنطقة تعاني منها وتسعى إلى معالجتها. إن العالم العربي، ومنذ ثلاثة أجيال، يحاول أن يتدارك ضياع الفعالية السياسية، وضياع فرص الدولة السياسية وفرص بناء الأمة. وهذا واحد من أسباب الاضطرابات الشديدة في المنطقة.

## التحديات العشرة التي تواجه الشرق الأوسط

هناك تنوع كبير في النشاطات السياسية والأيديولوجية التي يشهدها العالم العربي اليوم. اننا نجد الإرهاب، والانتخابات الديمقراطية، ونجد ما يشبه الانتخابات الديمقراطية، ونماء



المجتمع المدني، وتزايد الأنظمة الأمنية، وتبدل العلاقات مع القوى الأخرى. ولعل من المهم أن نتراجع قليلاً إلى الوراء ونبتعد عن هذه الدوامة لنتساءل: «ما هي القضايا الكبرى؟ ماذا يجري فعلاً؟ ما هي الأشياء الإيجابية والأشياء السلبية التي تحدث؟ ما هو الخطر، وما هي الفرصة السانحة، وكيف نتعاطى معهما؟». لهذه الأسئلة تأثير كبير على شعوب المنطقة وعلى القوى الخارجية مثل إسرائيل وإيران وتركيا وأوروبا والولايات المتحدة وآخرين.

إن البلدان الأصغر تتمتع بحس أعظم من التماسك الذي يمنح شعوراً أعظم بالشرعية والاستقرار، ويسمح للناس بأن يختبروا التغيير بسهولة أكبر. ولسوف نستمر في مشاهدة تغيرات كبيرة قادمة من بلدان عربية أصغر، مثل قطر، والبحرين، والأردن، وفلسطين، ولبنان.

هناك عشر قضايا ترسم معالم قوى التغيير المعاصرة في الشرق الأوسط وتمثل التحديات التي نواجهها نحن وأصدقاؤنا الأجانب وشركاؤنا في هذه المنطقة.

أول قضية مهمة هي الطبيعة السكانية والمدينية للعالم العربي. فمنذ ١٩٣٠ حتى اليوم، تحول العالم العربي من منطقة كانت في معظمها قروسطية عتيقة ريفية غير متعلمة إلى الوضع الحالي حيث إن غالبية العالم العربي من الشباب مديني، متعلم، ويجد معظم حاجاته الأساسية. فقد توفرت لغالبية الشباب العرب معظم الحاجات الأساسية لأسباب الحياة توفراً معقولاً. لكن الغالبية العريضة من هؤلاء الشباب المتعلمين محبطون سياسياً ولا يجدون متنفساً لهوياتهم وأيديولوجياتهم الشخصية أو السياسية. وقد كان هذا مصدراً للتأزم داخل المجتمع العربي، خاصة وأنه يقترن بمشكلات من مثل النزاع العربي الإسرائيلي، ومشكلات جديدة كالجيوش الأجنبية، والاحتلالات في الشرق الأوسط، والحرب العالمية على الإرهاب، ومواجهة الولايات المتحدة وغيرها ممن يخوض الحرب على الإرهاب، وتوتر مشاعر العرب والمسلمين والآسيويين تجاه أميركا والغرب. إنه حين تجتمع كل هذه العوامل لا بد أن يصبح الشباب المدينيون محبطين، ويصيروا مصدراً للخطر والاشتعال.

القضية الثانية التي أصبحت نزعة واضحة في الثمانينات وأوائل التسعينات مع ظهور الموجة الإسلامية الحالية ومع التغيرات في الاتجاهات الاقتصادية الخاصة بالنفط هي أننا وجدنا انكماشاً في سيطرة الدولة/الأمة المركزية و الحكومة المركزية في العالم العربي وتقلصاً في مصداقيتهما وتأثيرهما وشرعيتهما. أما الخليج فيعتبر استثناء من هذه الحالة، لأن هذا النوع من الدولة في الخليج قوي جداً، وثري جداً، ويخدم مواطنيه. لهذا فإن هذه التأزمات

هامشية بين أهل الخليج. أما في باقي العالم العربي فإن الدولة تنسحب بطيئاً جداً من مناطق معينة من المجتمع، كالمناطق الريفية، والمناطق المدنية المكتظة، وأحزمة الفقر حول المدن. هناك مناطق كثيرة جداً في العالم العربي ليس للحكومة المركزية فيها أي سيطرة أو حضور، بينما نجد الأماكن التي ينبغي للحكومة المركزية أن توجد فيها قد شغلتها الجماعات الإسلامية، أو الجماعات القبلية، أو جماعات القطاع الخاص، أو المنظمات غير الحكومية أو المانحون الأجانب وكل أنواع الميليشيات وعصابات الأحياء. إن المنظمات غير الحكومية واللاعبين غير الحكوميين، سواء كانوا جماعات خيرية محلية صغيرة أو مجموعات من القطاع الخاص، أو ميليشيات، أو كانوا جماعات مقاومة كبيرة مدججة بالسلاح مثل حزب الله هي قوى صاعدة في المنطقة.

حماس وحزب الله جزء من الحكومة [في بلديهما]. وهما تلعبان اللعبة الديمقراطية ومستعدتان للمشاركة في سلطة بُنى الدولة.

ويجب عدم تصنيف هذه الجماعات تحت إسم لاعبين ليست لهم صفة دولية، فهم فعلياً لاعبون بمحاذاة الدولة. لقد كانت هذة الجماعات في الماضي تتحدى الدول العربية مباشرة، كما في مصر في السبعينات مثلاً. وقد حاربتهم الدولة بشراسة وهزمتهم. الفرق اليوم هو أن معظم هذه الجماعات تتجاهل الدولة. ولعل آخر مناوراتها التي ليست لها صفة دولية هو وجودها في الدول العربية بمحاذاة الدولة، وتعمل في المجتمع بشكل مسالم على الغالب، وتفعل ما تشعر بأن عليها أن تفعله لخدمة أناسها. هنالك الآن بنية محاذية من خدمات الدولة وغير الدولة. إن بعض هؤلاء اللاعبين خارج الدولة مثل حزب الله في لبنان مثلاً أقوى من الدولة عسكرياً. وإذا نظر المرء إلى الوراء على مدى السنوات القليلة الماضية وتساءل: من كانت الولايات المتحدة تحاربه منذ فترة وجيزة؟ الجواب هو أنها تحارب القاعدة، وطالبان، وحزب الله بصورة غير مباشرة، كما تحارب جيش المهدي، وتجار المخدرات، وجماعات إرهابية وعصابات تعمل لحسابها الخاص. الولايات المتحدة لا تحارب دولة في الشرق الأوسط، ولا تجابه عدداً كبيراً من الحكومات. فمعظم الحكومات في الشرق الأوسط على وفاق مع الولايات المتحدة. ولهذا فإن اللاعبين خارج الدولة هم قوى جديدة مهمة لا بد من مواجهتهم، لا باعتبارهم –بكل بساطة– أخطاراً، بل باعتبارهم أبناء البلد وذوي مصداقية، وغالباً ما يشكلون تحديات مشروعة للحكومات في المنطقة، وقادرين على تلبية حاجات أناسهم، ويستجيبون للأزمات الخمس المذكورة سابقاً.



ثالث القضايا التي يجب على الجميع أن يتعاطوا معها، والتي تشكل أهمية خاصة للإسرائيليين هي انتهاء [فترة] «الإذعان» و«الانصياع». فإذا سرحت النظر في العالم العربي لن ترى كما كنت ترى في الستينات أو السبعينات جماعات من الرجال والنساء العرب يرفعون شكاوى إلى الأمم المتحدة. ماتراه اليوم هو مجموعات من البشر تنظم نفسها سياسياً. فإذا كان هناك حضور عسكري أجنبي في إسرائيل والضفة الغربية وغزة وجنوب لبنان أو في العراق فإن هذه المجموعات تنظم نفسها عسكرياً وتحارب. إن الجيل الرابع للشعوب العربية التي نالت سيادتها بعد الحرب العالمية الأولى ظهر باعتباره الجيل العربي الأول الذي لا ينصاع ولا يستجدي حقوقه، ولا يذهب إلى الأمم المتحدة أو إلى واشنطن أو لندن ليقول: «لدينا حقوق، ويجب احترام حقوقنا». لقد تعلم أن هذا التكتيك عقيم. هكذا أخذ الناس الأمور بأيديهم وحاربوا، وقاوموا، وهم متحدون غير هيابين. وهذا ما تجلى في حركات مثل حماس، وحزب الله، والإخوان المسلمين، والجماعات القبلية، والجماعات الوطنية أو القومية، وفي بعض الجماعات الديمقراطية. هناك عدد من هذه الجماعات التي تحارب ما تعتبره سياسات غير مقبولة تمارسها حكومات أجنبية، أو حكوماتها نفسها، أو إسرائيل، أو أية حكومات مجاورة. لم يعد يطيقون الانصياع. إن نهاية فترة الانصياع تشكل نقطة تحول في ديناميكية المنطقة. إن معظم هذه الجماعات لا تمارس العنف. فالناس هنا يقفون ويقولون: «لن نقبل بأن نظلم بعد اليوم، ولن نخضع لمعايير مزدوجة، ولن نقبل بأن تساء معاملتنا من قبل قوى أجنبية منافقة، ولن نقبل عواقب ما تفعله حكومتنا الفاسدة وغير الفعالة».

هناك أغنياء كثيرون في العالم العربي، ليس في الخليج وحسب بل في الأردن ولبنان وسورية. هنالك ثروة هائلة متناثرة عبر العالم العربي، ولكنها غير موزعة بالقسط. وهذا ما يخلق توترات لا بد من التعاطي معها. الناس في المنطقة يثيرون هذه القضايا. وهي واحدة من الأسباب وراء انتشار الحركات الإسلامية.

في الأردن، بدأت الموجة الأولى من الحركات الإسلامية المعاصرة في سبعينات القرن الماضي. لم يكن نقدهم الأساسي لإسرائيل أو الإمبريالية أو الصهيونية، بل كان للفساد المحلي وسوء استعمال السلطة وعدم المساواة والتفاوت الاقتصادي والتنكر لحقوق الإنسان ومظالم أجهزة الأمن. هذه المثالب المحلية كانت وراء ولادة الحركة الإسلامية المعاصرة بل كانت القوة المحركة الأساسية لهذه الولادة.

إن أهداف تحرك الناس ومطالباتهم هي حكوماتهم والبنى الخاصة بالنخبة والسلطة، وبإسرائيل، وبالعالم الغربي. هذه هي الأهداف المتزامنة لنشاط الناس المتجدد. وهذا ما يحصل كذلك على مستوى الدولة، على غرار رد الحكومة السورية والإيرانية على التهديدات الغربية والحصار والضغوط، حتى بعد سقوط النظام العراقي عندما كان الناس يتخوفون من وقوع تغيير آخر. لكن سورية وإيران صمدتا، كما فعل كذلك حزب الله وحماس في وجه الإسرائيليين. ومثل هذا العمل قد يؤتي أكله على المدى القصير، فقد أُرغم الإسرائيليون على وقفين لإطلاق النار مع حزب الله وحماس. صحيح أنهم لم يوقعوا، لكنهم وافقوا على وقفين لاطلاق النار، وعلى قرارات الأمم المتحدة.

أما القضية الرابعة فهي الطبيعة الفضولية لبعض السياسات الأميركية والغربية في المنطقة. فمن الملاحظ أن هناك تغيراً نوعياً في الطريقة التي تعمل بها السياسة الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط. ففي الماضي، كانت السياسة الخارجية الغربية تُرسم لحماية مصالح وطنية أو نفطية. ولكن الأميركيين، والأوروبيين إلى درجة ما، حاولوا في السنوات الأخيرة تغيير أنظمة القيم لكثير من البلدان العربية. كان ذلك في الغالب ردة فعل على ١١ أيلول/سبتمبر. لكن بعض السياسات بدأت قبل ذلك التاريخ. هنالك الآن سياسة خارجية أميركية ذات بعد فضولي معتبر في الشرق الأوسط. فالولايات المتحدة تريد تغيير نظام التعليم، والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي، وكثير من القيم الاجتماعية. وهي تنشط في الترويج لإسلام معتدل. هناك محاولة لإعادة صياغة العالم العربي بالجملة، لأن الولايات المتحدة تشعر بأن المنطقة، أو بعضاً منها قد أفرزت إرهاباً اعتدى على الأميركيين.

القضية الخامسة تدور حول ظاهرة العنف – أنموذج إرهاب القاعدة– وردة الفعل عليه في حرب أميركا العالمية على الإرهاب. إن الولايات المتحدة وبريطانيا أساءتا تشخيص ظاهرة الإرهاب ومشكلته. وكذلك فعلت غيرهما من الدول. فالعمل الإجرامي أو سلسلة الأعمال الإجرامية غير الإنسانية التي ارتكبها عدد محدود نسبياً من الناس تستجر رداً شديداً من الولايات المتحدة وحكومة إسرائيل وحكومات عربية انضمت إليها. وهذا ما خلق سلسلة توترات وأزمات حادة بين المنطقة العربية الإسلامية والولايات المتحدة وغيرها من دول الغرب، إلى درجة أن ثلاثة من كل أربعة عرب مسلمين يشعرون بأن الإسلام نفسه مستهدف. وهذا غير صحيح، فالولايات المتحدة ليس لديها مشكلة مع الإسلام سوى أنها لا تفهم كيف إن الدين والوطنية والسياسة والمقاومة تتسجم فيما بينها. كان هناك تشخيص أميركي مغلوط حول دور الدين في الإرهاب، ثم صار هناك تراكم في هذا التشخيص المغلوط أدى إلى هذه السياسة الأميركية الفاشلة. هناك سياسات لا تفرق بين شرذمة دينية صغيرة مثل إرهابيي القاعدة وبين حركات إسلامية مثل حماس وحزب الله تمسكت بالوطنية والمقاومة، وحاربت الاحتلال الإسرائيلي والتهديدات الأجنبية، وبين عامة المسلمين المسالمين الذين حاولوا بكل



بساطة أن يعيدوا صياغة مجتمعاتهم بشكل أفضل، بحيث يضمحل الفساد؛ مجتمعات أكثر تنظيماً وتساوياً تنعكس فيها قيمهم.

---

معظم أدواء العالم العربي هي من صنع الإنسان، ويمكن علاجها من قبل الإنسان ولكن لا بد من قيادة مخلصة شجاعة. المشكلة الكبرى في العالم العربي تتمثل في عدم وجود حكم صالح. إن الموارد البشرية والطبيعية الهائلة في هذه المنطقة غير مستغلة، لأن طبيعة النظام السياسي يشجع على هدر معظم المواهب العربية الشابة. إن هناك عشرات آلاف المهندسين والعلماء والمبدعين هاجروا إلى مختلف أرجاء العالم. وفي كثير من الحالات فإن الناس الذين ظلوا في العالم العربي لم يُمنحوا الفرص التي تمكنهم من المساهمة الخلاقة في النماء الاقتصادي والتطور الاجتماعي. ولعل الحكم الصالح هو الطريق الأوحد والأعظم للبدء بحل بعض هذه المشكلات.

---

أما الولايات المتحدة فإنها خلطت كل هذه القضايا ببعضها خلطاً مريعاً. وما تزال غير قادرة على التمييز بين الدين والوطنية، والحكم الصالح ومقاومة الاحتلال. وهذا ما أوقعنا في مشكلة عويصة مع مجموعات إرهابية صغيرة منتشرة عبر المنطقة. ففي لبنان ظهرت «فتح الإسلام» ومجموعات صغيرة أخرى. أما هل إن هذه المجموعة مدعومة من قبل بعض الدول أم لا فلا يعرف أحد. هناك الكثير من الاتهامات. وعلى العموم فإن هناك مشكلة متفاقمة مع ظاهرة الإرهاب التي زاد انتشارها وصعُبَ قتالها. إن أزمة مثل حرب العراق أسهمت في تجنيد إرهابيين جدد وقتلهم أيضاً. إن أفغانستان مثل جيد على حيوية هذه الحركات. بعضها إرهابي، وبعض وطني. وهناك من تحركه فكرة المقاومة. إنهم يظهرون بألوان مختلفة لأنهم متنوعون فعلاً. أما الكثير من هذه الجماعات فيرى في الإسلام دافعاً وسنداً شرعياً، لكنهم فعلياً مدفوعون بأسباب مختلفة. ومالم تفهم الولايات المتحدة وحلفاؤها هذه الفروقات والاختلافات فإنهم إنما يشجعون على حالة يصبح فيها الإرهاب مشكلة أعظم، وأصعب على المحاربة.

إنك لا تستطيع أن تبشر بالديمقراطية في بلد ثم تقاطع حكومات منتخبة ديمقراطياً في بلدان أخرى. يجب أن تكون منسجماً مع نفسك وتتعامل مع شعوب المنطقة باعتبارها شعوباً ذات حقوق متساوية ومتزامنة ومشتركة. إن حقوقنا ليست قائمة على أساس منطقي، إذ لن تكون لنا حقوق إلا بعد ضمان أمن إسرائيل. وقد جرّبت الولايات المتحدة هذا الفهم فلم تنجح لأن الناس لا تستطيع إلا أن تدافع عن حقوقها. ولا بد من تطبيق الحقوق المتساوية بالتزامن.

لا بد أيضا من التعامل مع كل اللاعبين الشرعيين. فإذا كنت تجري محادثات سلام مع كوريا الشمالية ومع حكومة ليبيا ومع جيش إيرلندا الجمهوري فإن عليك أن تتعامل مع أناس في الشرق الأوسط مثل حماس وحزب الله. فإذا كانوا شرعيين تعامل معهم كما تعاملت مع الجيش الجمهوري الإيرلندي في إيرلندا الشمالية. بذلك تجعلهم يهجرون العنف والإرهاب ويحققون أهدافهم سياسياً. إن سبب نجاح ذلك في إيرلندا هو أن الطرفين عوملا بالتساوي، وعوملت حقوقهما أيضاً بالتساوي.

القضية السادسة هي النزاع العربي الإسرائيلي المستمر مع استمرار التغطية الأميركية لإسرائيل بدلاً من محاولة لعب دور الوسيط النزيه، وإعطاء العرب والإسرائيليين حقوقاً متساوية. إن للتغطية الأميركية لإسرائيل، كما لا يخفى على أحد، عواقب وخيمة. وهذا ما جعل النزاع العربي الإسرائيلي العامل الأول في عدم الاستقرار والتطرف في العالم العربي على مدى الستين عاماً الماضية، وكان السبب الأكبر في تدهور مصداقية الولايات المتحدة في المنطقة. لكن التدهور لا يقتصر على المصداقية الأميركية فتأثير أميركا كله يتدهور في المنطقة. هذا النزاع هو أحد الأسباب التي جعلت الناس عازمين على النهوض في وجه الولايات المتحدة وتحديها. إن حل النزاع العربي الإسرائيلي ليس من مسؤولية الولايات المتحدة وحسب، بل هو من مسؤوليتنا أيضاً. وقد وضع العرب خطة سلام وأعلنوها واضحة: إننا مستعدون للتعايش مع إسرائيل وفقاً للشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة وعبر مفاوضات يقبل بها الطرفان. كذلك مضى العرب بعيداً في تلبية المطالب الشرعية الإسرائيلية والدولية، لكن عدم تجاوب الولايات المتحدة وإسرائيل وآخرين جعل الوضع يتقيح. ثم كانت له عواقب سلبية وخيمة على العلاقات الأميركية الثنائية في المنطقة وعلى المنطقة نفسها.

القضية الكبيرة السابعة التي يجب على الرئيس الأميركي الجديد أن يعالجها بسرعة ويتفهمها هي أنه في الثلاثين سنة الماضية، كان العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط بعامة يهيمن عليه نزاع واحد هو النزاع العربي الإسرائيلي، لكنه تأثر بالحرب الباردة أيضا. إن الشرق الأوسط اليوم يعيش نزاعات مختلفة وحروباً مشتعلة عدة، ويعاني من أن عدداً من بلدانه يزداد تفككاً، وفي بعض الأحيان يتمزق. ثم إن شعوب المنطقة ترى أن عدداً من القضايا مثل الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل، والنزاع العربي الإسرائيلي، ومشكلات السودان والصومال واليمن



ولبنان وسورية والعراق وإيران مرتبطة كلها بقوة محركة واحدة. إن هنالك رابطاً عملياتياً واحداً بين هؤلاء الذين يحاربون في هذه النزاعات المختلفة.

وقد أصبحت حماس أكثر خبرة وبراعة في القتال ضد إسرائيل، فهي تظهر إرادة أعظم على فعل ذلك كما فعل حزب الله من قبل. وهذا واحد من الأسباب التي جعلت إسرائيل توافق على وقف إطلاق النار معها. إذ إنها أدركت أنه ليس هنالك من حل عسكري لهذا الوضع. أما سبب قدرة حماس وحزب الله على فعل ما فعلوه فهو وجود تعاون إقليمي أكبر. وبذلك فإن المنطقة تعيش أزمات مختلفة لكنها مرتبطة بقوة محركة واحدة.

القضية الثامنة هي أن الولايات المتحدة في عدد من أزمات المنطقة انحازت [إلى فريق ضد فريق] في سياسات أو أيديولوجيات داخلية، أو في حروب أهلية مشتعلة. المثلان الدراميان على ذلك هما لبنان وفلسطين حيث اصطفت الولايات المتحدة مع فريق ضد آخر في هذه البلدان. وفي الحالين، لم تتوفق الولايات المتحدة ذلك لأن الفريق الذي اصطفت إلى جانبه خرج خاسراً. هذا يدل على أن في العالم العربي دولاً ذات سلطتين حاكمتين تتمتعان بالمصداقية والشرعية. ففي فلسطين هناك فتح وحماس، وفي لبنان هناك فريق ١٤ آذار وفريق ٨ آذار بزعامة حزب الله. كلهم كانوا شرعيين في ظل سيادة واحدة. وهذا ما يحدث في العراق والصومال والسودان. فإذا تدخلت الولايات المتحدة في الأوضاع واصطفت بفعالية إلى جانب فريق ضد فريق آخر، وذلك بتقديم المال، أو السلاح، أو التدريب، فإنها تجعل المشكلة أسوأ.

إن من حق كل المواطنين في العالم العربي وواجبهم أن يطالبوا بأن يكون نظامهم السياسي تعددياً مشتركاً وعرضة للمحاسبة وغير فاسد. ويمكن للناس أن ينجزوا ذلك بمجالس محلية أو بأن يفتح الأمير أو الشيخ ديواناً كل يوم جمعة.

يستطيعون أن يفعلوا ذلك بأية طريقة كانت: بالاستناد إلى الشريعة، بميثاق الجامعة العربية، أو بنسخ دستور سويسرا. أعتقد أن الناس يستطيعون أن يفعلوا ما يشاءون ما دامت لديهم حكومة فعالة وعرضة للمحاسبة. فإذا كان هناك من مسألة واحدة خطيرة وحرجة فهي المحاسبة. وهذه من قيم الإسلام القوية، ومن التقاليد العربية الراسخة في المجتمعات القبلية والقروية. هذه ليست مفاهيم غربية، بل هي مفاهيم ظهرت في هذه المنطقة منذ سنوات طويلة.

القضية التاسعة التي يمكن رؤيتها بوضوح أكثر من أية نقطة أخرى على مدى الثلاثين عاماً الماضية هي توازن أمن الشرق الأوسط، أو الهندسة الأمنية التي تحولت من توازن قوى عظمى – الاتحادِ السوفياتي والولايات المتحدة ووكلائهما وحلفائهما المحليين– إلى ما نراه اليوم

حيث يتهندس أمن العالم العربي عبر توازن قوى أربع هي تركيا وإيران وإسرائيل والولايات المتحدة –وهي جميعاً غير عربية. لقد وضع العالم العربي نفسه خارج عمارة أمنه الخاص، وهو أمن لا يعول عليه أبداً ولا يقبله إنسان أو دولة. لكنه واقع تعيس في المنطقة. ويعتبر أحد أسباب ظهور عدد من الفرقاء الذي يريدون أن يلعبوا دوراً، وأسباب نشوء علاقة استراتيجية بين سورية وإيران. هذه حال لا تطاق، وتحتاج إلى أن يعالجها أناس من داخل المنطقة وخارجها.

القضية العاشرة هي نزعة «الاستقطاب» السائدة في كل الشرق الأوسط، بما في ذلك الخليج. هناك استقطاب واضح لمجتمعات استدرجت إلى اتجاهات متعاكسة لكنها متعايشة سلمياً بصورة أو بأخرى. هناك فقر يعيش إلى جانب ثروة هائلة، وحكم قانون يتعايش مع الخروج على القانون. وهناك حيوية وإنتاج وانفتاح على العالم إلى جانب جماعات راكدة في المجتمع إما أنها تراوح مكانها أو تزداد تخلفاً. كذلك فإن هناك انبثاقاً لشرائح اجتماعية شديدة الاستقطاب، وهو ما نراه على المستوى الإقليمي وعلى المستوى الأيديولوجي أيضاً. إننا نجد بلداناً وقيادات وحركات قريبة من الولايات المتحدة كما نجد من يقف ضد الولايات المتحدة ويصطف إلى جانب إيران وسورية وحزب الله. هذه حال إشكالية على المدى القصير لكنها قد تفرز توازناً جديداً من القوة يسمح لهذه المنطقة بأن تعالج بعض مشكلاتها المتأزمة بطريقة أكثر رشداً وديبلوماسية، وربما تفضي إلى مستقبل أفضل.

أكثر الحقائق الديبلوماسية التي تلفت الانتباه في المنطقة هي ظهور عدد من الوساطات الديبلوماسية في السنوات الأخيرة لم تكن الولايات المتحدة فيها حاضرة. فكثير من نزاعات الفرقاء في العالم العربي توسطت فيها قطر أو المملكة العربية السعودية أو تركيا أو الأمم المتحدة أو جامعة الدول العربية. فكما وضع العرب أنفسهم خارج عمارة أمنهم، كذلك وضع الأميركيون أنفسهم، وبعجزهم، خارج دورهم الديبلوماسي كوسيط نزيه في المنطقة. ولربما أن هذه أمور جيدة على المدى القصير، فهي تسمح لأناس آخرين بأن يجربوا حظهم في حل النزاعات. ولكن إذا كان هناك وسيط أكثر إنصافاً ينظر إلى مصالح إسرائيل وسورية بالتساوي فلربما كان هناك حظ أوفر لحل النزاع.

هذه القضايا تصف مجمل ما أعتبره تحديات أساسية تواجه شعوب المنطقة وستواجه الرئيس الأميركي الجديد. ولكن بغض النظر عن هذه القضايا فإن هناك عدداً من الأمور الإيجابية التي تحدث في المنطقة مثل انخراط الشباب في الاقتصاد العالمي، ونماء القطاعات الخاصة والمنظمات غير الحكومية والنشطاء من أجل الديمقراطية والحركات النسائية والشبابية والمقاولة والأنظمة الابداعية والبارعة. ثم إن هناك رصيداً كبيراً من الحماسة والرغبة الصادقة البناءة في العالم العربي، وهو ما ينبغي أن يكون العرف الطبيعي. ما ليس طبيعياً هو المشكلات والتهديدات والتحديات التي نراها في المنطقة. فحين يرى المرء هذا وهو يحدث بالتزامن إنما يرى المنطقة وهي تحاول أن تحدد تعريف نفسها وتعيد صياغة نفسها من جديد وفقاً لأهداف منسجمة مع قيم الناس الذين يعيشون في المنطقة.



## الخلاصة

خلاصة الأمر أننا نجد اهتراءً حول الحافات والأطراف وتفسخاً بطيئاً لنزعات تاريخية ثلاث: الأولى هي الاختلال الوظيفي لأنموذج الدولة العربية التي خلقها البريطانيون والفرنسيون ما بعد الحرب العالمية الثانية. والثانية هي أن النظام الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية لم يكن ناجحاً بما فيه الكفاية كما يرى ذلك معظم الناس في العالم العربي. فباستثناء الأغنياء في الخليج والنسبة الضئيلة من الأثرياء والنخبة السياسية في أقطار عربية أخرى فإن غالبية العرب لم تتحسن حياتهم بطريقة حقيقية على مدى الخمس عشرة سنة الماضية. أما النزعة الثالثة فتتجلى في أن الناس لم يعودوا يهابون تحدي دولهم أو حماتهم الأجانب الذين يساندونهم.

هذه النزعات التاريخية الثلاث تنهش في الأطراف والحافات بالتزامن. بينما يتطلع الناس في العالم العربي إلى طرق جديدة لإعادة صياغة أنفسهم وتشكيلها وفقاً لما يشاءون هم أنفسهم. أحد الأشياء التي أصبحت واضحة في هذا النوع من التحليل هو أن مئات الملايين يشعرون بأنهم لم يمنحوا الفرصة لتحديد أنفسهم وإعادة صياغة دولهم والأنظمة العاملة في حكوماتهم وقيم مجتمعهم وعلاقتهم مع غير العرب. وهذا يبدو جلياً واضحاً لمن يعيش ويسافر في العالم العربي وفي دول كثيرة السكان مثل المغرب ومصر وسورية حيث تبدو الأشياء أكثر وضوحاً مما هي في الخليج.

هناك إحباط شديد يشعر به الناس الذين لم يتمكنوا من تحديد وشرعنة دولهم وسيادتها. إن المنظمات غير الحكومية والجماعات السياسية والشبابية والقبلية والقطاع الخاص هي وسائل لتقرير المصير القادم من إجراءات شعبية لا من أعلى الهرم إلى أسفله. وآخر نقطة أشير إليها هي أن أسأل: «ما هي القضايا التي يقول العرب إنها مهمة بالنسبة لهم؟» و «ما هي القضايا المهمة لشعوب المنطقة والتي يجب أن يهتم بها الأجانب من إسرائيليين وأوروبيين وروس وصينيين وأميركيين والإدارة الأميركية الجديده؟».

أول ذلك هو الحاجة إلى دولة مستقرة ومجتمعات آمنة وأمن على المستوى الفردي. بعض الجماعات لا تريد فى أن تتطهر عرقياً، فهناك تطهير عرقي يجري في مناطق عدة. وجماعات أخرى لا تريد التمييز ضدها، ومع ذلك فإن هناك تمييزاً يحصل في كل مكان من العالم العربي. الناس تتطلع إلى أمن يشمل الفرد والمجتمع والدولة، ويتطلعون إلى شرعنة دولهم ويرغبون في تعريف محدد لها وفي تقويتها واستمرارها ودوامها وأمنها ورفاهها القادم من صلاحيتها التي هي طريقة أخرى للحديث عن الشرعية. الشرعية مهمة جداً. والشرعية تنبثق من العرف؛ من شعبك الذي يعترف بشرعيتك، ومن حكومتك ومجتمعك المتمسكين بالأعراف الدولية مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة. هنا مصدر الشرعية لكن العالم العربي غير مؤهل على كافة هذه المستويات. الناس يريدون التأكيد على هويتهم

كأفراد، وجماعات، وأحزاب سياسية. هناك حاجة لتوفير الحرية للناس كي يعبروا عن هويتهم وكي تكون لديهم تعددية مسالمة وسيادة متجذرة. إن كثيرا من شعوب العالم العربي لا تشعر بأن لديها سيادة أو استقلال. والناس لا يشعرون بأنهم يملكون خيارهم الخاص وقراراتهم الخاصة، ويرون أن شخصاً آخر يملي عليهم ما يجب أن يفعلوا.

وأخيراً يريد الناس في العالم العربي حكماً صالحاً مسؤولا سواء كان ذلك ديمقراطية أو حقوق إنسان أو شريعة أو قيماً قبلية عربي، أو دستورية، أو جمهورية أو شفافية. وهذا ما تعبر عنه كل لغة وكل دين وكل منطقة من مناطق العالم. الناس تريد أن تعامَل باحترام من قبل بُنى تقوم عليها قوتهم نفسها، ولا يريدون أن يميّز ضدهم أو أن يهانوا أو أن يُستعمَروا أو أن يُهدّدوا أو أن يُفرض عليهم حصار. إنهم لا يريدون أن يكال لهم بمكيالين مختلفين من قبل جيوش أجنبية، بل يريدون أن يعاملوا كبشر ذوي كرامة، لهم كرامتهم ووطنيتهم وإنسانيتهم التي يريدون التأكيد عليها من قبل سلطاتهم ومن قبل أناس خارج الوطن. هذه هي التحديات التي تواجه الإدارة الأميركية الجديدة، وأهم من ذلك أنها تواجه العالم العربي.

CIRS Brief © 2010
Center for International and
Regional Studies, Georgetown University
School of Foreign Service in Qatar
Education City, Qatar Foundation

P.O. Box 23689 Doha, State of Qatar
Tel +974 457 8400 | Fax +974 457 8401
cirsresearch@georgetown.edu
http://cirs.georgetown.edu